سِلْسِلَةُ الانْتِصَارِ عَلَى المُبْتَدِعَةِ (٣٣)

إِمَامُ الطَّالحِيَّةِ

ومُنَاقَضَتُهُ للدِّينِ

دِرَاسَةٌ أَثَرِيَّةٌ مَنْهَجِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ لِكَشْفِ ضَلالَاتِ: ((فَالِح الحَرْبِيّ)) في الدِّين، وبَيَانِ مُنَاقَضَتِهِ لتَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، وتَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ والصِّفَات، وتَلَوُّثِه بالجَهْلِ المُرَكَّبِ في الأُصُولِ والفُرُوع، ووُقُوعِه في أَبَاطِيلِ ومَنَاكِيرِ الخَوَارِجِ والمُرْجِئَةِ، والجَهْمِيَّةِ والمُعْتَزِلَةِ.

ومَعَهُ:

بَيَانُ مُخَالَفَةِ: ((فَالِح الحَرْبِيّ))

للسَّلَفِ الصَّالِحِ في الأُصُولِ والفُرُوعِ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

فوزي بن عبد الله بن محمد الحميدي الأثري

حفظه الله ورعاه

مكتبة أهل الحديث

الجزء الأول

إِمَامُ الطَّالحِيّةِ
ومُنَاقضَتُهُ للدِّينِ

حُقوقُ الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧

مكتبة أهل الحديث

مملكة البحرين - قلالي

هاتف: ١٧٣٤٤٦١٦
فاكس: ١٧٣٤١٦٧٦

سِلْسِلَةُ الانْتِصَارِ عَلَى المُبْتَدِعَةِ (٣٣)

إِمَامُ الطَّالِحِيَّةِ
وَمُنَاقَضَتُهُ لِلدِّينِ

دِرَاسَةٌ أَثَرِيَّةٌ مَنْهَجِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ لِكَشْفِ ضَلالاَتِ: ((فَالِحِ الحَرْبِيِّ)) فِي الدِّينِ، وبَيَانِ مُنَاقَضَتِهِ لِتَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، وتَوْحِيدِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ، وتَلَوُّثِهِ بالجَهْلِ المُرَكَّبِ في الأُصُولِ والفُرُوعِ، وَوَقُوعِهِ في أَبَاطِيلِ ومَنَاكِيرِ الخَوَارِجِ والمُرْجِئَةِ، والجَهْمِيَّةِ والمُعْتَزِلَةِ.

وَمَعَهُ:

بَيَانُ مُخَالَفَةِ: ((فَالِحِ الحَرْبِيِّ))
لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ في الأُصُولِ والفُرُوعِ

تَأْلِيفُ
فضيلة الشيخ العلامة
فوزي بن عبد الله بن محمد الحميدي الأثري
حفظه الله ورعاه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران :١٧٩].

المقدمة

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحْمَدُهُ، ونَسْتعينُهُ، ونَسْتغفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيئاتِ أعمالِنَا مَنْ يهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلَا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمّداً عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠ و٧١].

أَمَّا بَعْدُ،

فإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بدْعَةٌ، وكُلَّ بدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّار.

فَهَذِهِ لَمْحَةٌ عَنِ الفِرَقِ الضَّالَةِ فِي هَذَا الزَّمْانِ الحَاضِرِ للحَذَرِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ مُحْدَثَاتِهَا، كَمَا حَذَّرَ مِنْهَا القُرْآنُ والسُّنَّةِ والسَّلَفُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَىٰ اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

قلتُ: فَمَا جَاءَ التَّفَرُّقُ فِي القُرْآنِ؛ إلاَّ مَذْمُومـاً، ومُتَوعَّداً عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ سَلِّم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَعَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قال: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا

عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»).[1]

قلتُ: وهَذَا الاعْتِصَامُ بكِتَابِ الله تَعَالَىٰ، وسُنَّةِ نَبيِّهِ ﷺ، والتَّسْلِيمُ لشَرْعِ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ العُروةُ الوُثقَىٰ المُنجيَةُ مِنَ الهَلاَكِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَىٰ اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ **في «مَدَارِجِ السَّالكِينَ» (ج١ ص٤٦٠)**: (فَالِاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ يُوجِبُ لَهُ الْهِدَايَةَ وَاتِّبَاعَ الدَّلِيلِ، وَالِاعْتِصَامُ بِاللهِ، يُوجِبُ لَهُ الْقُوَّةَ وَالْعُدَّةَ وَالسِّلَاحَ). اهـ

قلتُ: فَأَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ سَيَكُونُ هُنَاكَ اخْتِلَافٌ وتَفَرُّقٌ، وأَوْصَىٰ عِنْدَ ذَلِكَ بلُزُومِ سُنْتهِ ﷺ، ولُوزُمِ أُمَّةِ الإِجَابَةِ.

قَالَ أَبُو نُعَيمٍ في «تَثْبِيتِ الإِمَامَةِ» (ص١٩٦): (فَالْجَمَاعَةُ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ بِمُلَازَمَتِهِمْ هُمْ: الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَا الْجَمَاعَةُ الْفَسَقَةُ الْجَهَلَةُ الغَاغَة[1] ...). اهـ

---

(١) حديثٌ صحيحٌ.

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ في «سُننِهِ» (٤٦٠٧)، والتِّرْمِذِيُّ في «سُننِهِ» (٢٦٧٨)، وابنُ مَاجه في «سُننِهِ» (ج١ ص٦٧)، وأَحْمَدُ في «المُسْند» (ج٤ ص١٢٦) بإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

قلتُ: والتَّأَسِي والاقْتداءُ بالرَّسُولِ ﷺ طَرِيقَةُ الاعِتْصَامِ بالكِتَابِ والسُّنَّة.

قلتُ: وَمَا يَخْرُجُ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتقِيمِ سُبُلٌ لا حَصْرَ لَهَا، وَمَنْ مَالَ إِلَيْهَا خَرَجَ عَنْ صِرَاطِ اللهِ بمَقْدَارِ ذَلِكَ المَيْلِ، وَقَدْ صَوَّرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ تَصْوِيرٍ.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ؛ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ هَذِهِ سُبُلٌ[٢] مُتَفَرِّقَةٌ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.[٣]

قلتُ: فَتَعدّدُ السُّبلُ الشَّيْطَانِيَّةِ لاَ عِصْمَةَ مِنْهُ إلاّ التَّمَسّكُ بحَبْلِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذي هُوَ كِتَابُهُ ودِينُهُ، والَّذِي بُعِثَ بِهِ نَبيّهُ المَعْصُوم مُحَمّد ﷺ فَقَامَ بِهِ بَيَانـًا، وتَفْصِيلاً بسُنّتهِ

=

(١) الغاغَة: وَاحِدَة الغَاغ، وَهُوَ الكَثِيرُ المُخْتلط مِنَ النَّاسِ.

انظر: «الرَّائد» لجبران (ص٥٧٣).

(٢) يَعْنِي: الأَهْواءَ والآرَاءَ المُخْتلفَةِ فِي الضَّلالاَت، مِثْلَ: الجَمَاعَاتِ الحِزبيَّة المَوْجُودَةِ في السَّاحَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ.

(٣) حديثٌ حسنٌ.

أَخْرَجَهُ أحمدُ في «الْمُسْنَدِ» (ج١ ص٤٣٥)، والدَّارمِيُّ في «الْمُسْنَدِ» (ج١ ص٦٧)، والطَّيَالِسِيُّ في «الْمُسْنَدِ» (ص٣٣)، والنَّسَائِيُّ في «السُّنن الكُبرىٰ» (ج٦ ص٣٤٣)، وابنُ أَبِي زَمَنِين في «السُّنة» (ص٣٦)، وسَعِيدُ بنُ مَنْصُورٍ في «تَفْسِيرِهِ» (ج٥ ص١١٢)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ في «تَفْسِيرِهِ» (ج٥ ص١٤٢٢).

وسندُهُ حسنٌ.

وهَدْيه؛ فَلَمْ يَقْبضْهُ ربُّه إليْهِ؛ إلاّ وَقدْ أَبَانَ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، وتَرَكَ أُمّتَهُ عَلَىٰ البَيْضَاءِ النَّقيّةِ لا يَزِيغُ عَنْهَا إلاّ هَالِكٌ.

قالَ العلَّامةُ الشَّاطِبِيُّ رحمه الله في «الاعْتِصَامِ» (ج١ ص٨٠): (فَهَذَا التَّفْسِيرُ يَدُلُّ عَلَىٰ شُمُولِ الْآيَةِ لِجَمِيعِ طُرُقِ الْبِدَعِ، لَا تَخْتَصُّ بِبِدْعَةٍ دُونَ أُخْرَىٰ). اهـ

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةٍ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي).[1]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ).[2]

---

(١) حديثٌ حسنٌ.

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ في «سُننِهِ» (ج٥ ص٢٦)، والحَاكِمُ في «الْمُسْتَدْرَكِ» (ج١ ص١٢٨)، وابنُ وَضَّاحٍ في «البِدَعِ» (ص٩٢)، واللاَّلَكَائِيُّ في «الاعْتِقَادِ» (ج١ ص١٠٠)، والآجُرِّيُّ في «الشَّرِيعَةِ» (ص١٥ و١٦)، والعُقَيْلِيُّ في «الضُّعَفَاءِ» (ج٢ ص٢٦٢)، ومُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ في «السُّنَّةِ» (ص٢٣)، وابنُ الجَوْزِيِّ في «تَلْبِيسِ إِبْلِيس» (ص١٥)، وفي «الحَدَائِقِ» (ج١ ص٥٤١ و٤٥٢)، وابنُ بَطَّةَ في «الإِبَانَةِ الكُبْرَىٰ» (ج١ ص٣٦٩)، والدَّيْلمِيُّ في «الفِرْدَوْسِ» (ج٣ ص٤٣٩)، والأَصْبَهَانِيُّ في «الحُجَّةِ» (ج١ ص١٠٧)، والفَسَوِيُّ في «المَعْرِفَةِ والتَّارِيخِ» (ج٣ ص٤٨٩)، والبَغَوِيُّ في «مَصَابِيحِ السُّنَّةِ» (ج١ ص١٦١).

بأسانيدٍ حسنةٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ البُخاريُّ في «صَحِيحِهِ» (ج٦ ص٣٦٤)، ومُسلمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٣ ص١٣٠٣).

قلتُ: وهَذَا نَصٌّ يَدُلُّ بمَنْطُوقهِ عَلَىٰ عِظَمِ وِزْرِ كلّ مِنْ سَنَّ مَا لاَ يَرْضَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، أَوْ أَدْخَلَ في دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ مَا لَيْسَ مِنْهُ بأَيِّ وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، ولذَلِكَ فَإِنَّ ابنَ آدَمَ الأَوّلَ يَحْمِلُ وِزْرَ كُلِّ جَرِيمَةِ قَتْلٍ تَقعُ بَيْنَ بَنِي آدمَ؛ لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ جَرِيمَةَ القَتْلِ، واللهُ المُسْتَعَانُ.

وَعَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِاللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ).(١)

قلتُ: وهَذِهِ النُّصُوصُ تَدُلُّ بمَنْطُوقِهَا عَلَىٰ عِظَمِ وزْرِ كُلِّ مَنْ سَنَّ مَا لاَ يَرْضَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، أَوْ أَدْخَلَ في دِينِ اللهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ بأَيِّ وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ... وكُلّ مُبْتَدِعٍ، أَوْ جَاهِلٍ، أَو مُميّعٍ، أَوْ حَزْبيٍّ قَدْ سَنَّ مَلاَ يَرْضَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، ورَسُولُهُ ﷺ، واتَّبعهُ النَّاسُ في ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَتَحَمَّلُ وِزر ذَلِكَ كُلَّه في يَوْمٍ يَتبرَأ المَتْبُوعُ مِنَ التَّابعِ، ويَدْعُو عَلَيْهِ بالوَيْلِ والثُّبور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ «١٦٦» وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت:٢٥].

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج٢ ص٧٠٤).

وَعَنِ الإِمَامِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة:٦٤]، (هُمْ أَصْحَابُ الأَهْوَاءِ)، وَفِي رِوَايَةٍ: (الْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ).

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ الهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلاَمِ» (٨٢٠)، وَأَبُو الْقَاسِمِ الأصبهانيُّ فِي «الْحُجَّةِ» تَعْلِيقًا (ج٢ ص٨٤٥)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعَلْمِ» (١٧٧٢)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (ج٤ ص٢٢٢)، وَسَعِيدُ بنُ مَنْصُورٍ فِي «السّنَنِ» (٧٢٢)، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (ج٦ ص١٠٢)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الإِبانةِ الْكُبْرَىٰ» (٥٥٨)، وَفِي «الإِبانةِ الصُّغْرَىٰ» (ص١٤١)، وَأَبُو الْفَتْحِ الْمَقْدِسِيّ فِي «الْحُجَّةِ» (ج١ ص٢٦٧) مِنْ طَرِيقَينِ عَنْ الْعَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الأَهْوَاءُ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ).

أثرٌ صَحِيحٌ.

أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (ج١١ ص٣٦٧)، وَابْنُ الجَوْزِيّ فِي «تَلْبِيسِ إبليسَ» (ص١٧)، وَابْنُ وَضَّاحٍ فِي «الْبِدَعِ» (ص٧٥)، والمَرْوَزِيّ فِي «السُّنة» (ص٨)، والآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (ص١٣)، وَابْنُ بَطَّةَ فِي «الإِبانةِ الْكُبْرَىٰ» (١٣٦)، واللَّالَكَائِيُّ فِي «الِاعْتِقَادِ» (ج١ ص٥٦)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (ج٢ ص٢١٨)،

وَابْنُ عَسَاكِرِ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقِ» (ج١٨ ص١٧١)، والهَرَوِيُّ فِي «ذَمِّ الْكَلاَمِ» (ج٥ ص١٨) مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةَ فَذكرَهُ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الإِمَامِ عِمْرَانَ الْقَصِيرِ رَحِمَهُ اللهُ **قَالَ**: **(إِيَّاكُمْ وَالْمُنَازَعَةُ وَالْخُصُومَةُ، وَإِيَّاكُمْ وَهَؤُلاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: أَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ).**

أَثَرٌ صَحِيحٌ.

أَخْرَجَهُ ابْنُ بَطَّةَ فِي «الإبانةِ الْكُبْرَىٰ» (٦٣٧)، والآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (١١٩)، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ مَسْعَدَةَ عَنْ عِمْرَانَ الْقَصِيرِ بِهِ.

قُلْتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

قلتُ: فالدِّينُ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لاَ يَقْبُلُ الانْقِسَامَ إِلَىٰ جَمَاعَاتٍ حِزْبِيَّةٍ، وإِلَىٰ مَذَاهِب مُخْتَلِفَةٍ عَصَبِيَّةٍ(١)، فدَيَانَاتُ الجَمَاعَاتِ الحِزْبِيَّةِ المَوجُودةُ الآنَ لا يُقْبَلُ اللهُ هَذِهِ الدِّيَانَات مِنْهُمْ فانْتِبه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) والنَّبِيُّ ﷺ تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَىٰ البَيْضَاءِ، لَيْلُها كنهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا إلاَّ هَالِكٌ نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ.

إذاً: فإِنَّ مُجرَّدَ الانْتِسَابِ إلىٰ الإسْلاَمِ دُون العَمَلِ بهِ، فَهَذا لاَ يَكْفِي فِيهِ، بَلْ مَنْ أَدْخَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنَ الْمُخَالفاتِ الشَّرعيّة الكَثِيرة، أَوِ القَلِيلَة، فإنهُ ابْتغَىٰ غَيْرَ الإسْلامِ دينـًا، فلنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ذَلِكَ، سَواء كانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِنَ الْمُبْتدعِين، فانْتبه.(١)

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣].

---

(١) قلتُ: كذَلِكَ الَّذين يَعْملُونَ ببَعْضِ الإسْلاَمِ، ويتركُونَ بَعْضَهُ، أَوْ يَعْمَلُونَ ببعْضِ الأحْكامِ، ويتركُون بعضَها، أو يَعملونَ ببعضِ السُّنة، ويتركُونَ بعضَها فهذا أيضـًا لا يَكْفي في الإسْلاَمِ، ولنْ يُقْبَلَ منهُمْ ذَلِكَ، واللهُ الْمُستعان.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]؛ أي: خُذُوا جميعَ أحكامِ الإسلامِ، واعْمَلُوا بِهَا، فَهَذَا هُوَ الإسْلامُ الصَّحيح الَّذي يجبُ الانتسابُ إليهِ.

قلتُ: والإسْلامُ؛ الانْقِيادُ والخُضُوعُ، والاسْتِسْلامُ بالتَّوْحيدِ والطَّاعةِ للهِ تَعَالَىٰ، ولرَسُولهِ ﷺ، فَمَنِ اتَّبعهُ كَانَ مَرْضِياً عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، ومَنْ خَالفهُ كانَ باغِياً لغَيْرِ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ.[1]

قَالَ المَرَاغِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **في «تفْسيرِهِ» (ج٢ ص٢٠٤)**: (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾؛ لأنَّ الدِّين إِذَا لَمْ يَصلْ بصَاحبِهِ إلىٰ هَذَا الخُضوعِ والانْقيادِ للهِ تَعَالَىٰ كَانَ رسُوماً، وتَقَاليد لا تُجدْي شَيْئاً، بَلْ تَزيد النُّفوسُ فَساداً، والقُلوب ظَلَاماً، ويكونُ حِينَئِذٍ مَصْدر الشَّحناءِ، والعَدَاوةِ بَيْنَ النَّاسِ في الدُّنيا، ومُصدر الخُسرانِ في الآخرةِ بالحُرْمَانِ مِنَ النَّعيم الْمُقيم، والعَذَابِ الأليمِ، وقولهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ لأنهُ أَضَاعَ مَا جُبلتْ عَلَيْهِ الفِطْرُ السَّليمة مِنْ تَوْحيدِ اللهِ تَعَالَىٰ، والانْقيادِ له، كَمَا جاءَ في الحَديثِ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[2]، وخَسرَ نَفْسَهُ إِذْ لم يُزكها بالإسْلاَمِ للهِ، وإخلاَصِ السَّريرةِ له؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾). اهـ

---

(١) وانظر: «تَفْسير القُرآن» للمَرَاغيِّ (ج٣ ص٢٠٤)، و«تَفْسير القُرآن» لابنِ كَثِيرٍ (ج١ ص٣٧٢)، و«زَاد الْمَسير» لابنِ الجَوْزِيِّ (ج١ ص٤١٦)، و«البحرَ الْمُحيط» لأَبِي حَيَّان (ج٢ ص٨٢٠)، و«ثَلاثة الأُصول» للشَّيخ محمد بنِ عبد الوهاب (ص٦٦)، و«شَرْح ثلاثة الأُصول» للشَّيخ الجاميِّ (ص٢٣).

(٢) أَخْرجهُ البُخَارِيُّ في «صحيحهِ» (١٣١٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقالَ الحافظُ ابنُ كَثِيرٍ رحمه الله في «تَفْسيرِهِ» (ج١ ص٣٧٣): (قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾؛ أَيْ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا سِوَىٰ مَا شَرَعَه اللهُ تعالىٰ، فَلَنْ يُقْبل مِنْهُ[1]: ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (أَنَا وَمَنْ مَعِي) قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الَّذِينَ عَلَىٰ الْأَثَرِ) قِيلَ لَهُ: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (فَرَفَضَهُمْ).[3]

حديثٌ حسنٌ

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَد» (ج٣ ص١٥٥) مِنْ طَرِيقِ صَفْوَان، أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بنُ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه به.

قلتُ: وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ.

---

(١) لقَدْ أَدْخَلت «الفِرْقةُ الطَّالحِيّة» البَاطِل الخَبيث في دينِ اللهِ تَعَالَى، وادَّعَتْ أَنهُ مِنَ الإِسْلاَمِ، وهو ليسَ مِنَ الإِسْلامِ، بل هُوَ دينُ «الفِرَق الضَّالة»، لأنها ابْتغتْ غيرَ الإِسْلاَمِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ منها هَذَا الدِّين، إذاً فهيَ في الآخرةِ خَاسرة.

قَالَ تَعَالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقَالَ تَعَالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٨].

(٢) أَخْرجهُ البُخَارِيُّ في «صحيحِهِ» (ج٤ ص٣٥٥)، ومُسْلِمٌ في «صَحيحهِ» (ج٣ ص١٣٤٣).

(٣) قولهُ: (فَرَفَضَهُمْ)، قَالَ السِّنْدِيُّ رحمه الله: أي: تَرَكَهُمْ وَلَمْ يَذْكرْ لهُم فَضْلاً.

وأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ في «المُسْنَد» (ج٣ ص٢٤٣)، والآجُرِّيُّ في «الشَّرِيعَةِ» (١١٤٧) مِنْ طَرِيقِ لَيْث -يَعْنِي: ابنَ سَعْدٍ-، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ الْعَجْلَانَ، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﵁، **أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: (أَنَا، وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَىٰ الْأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَىٰ الْأَثَرِ)، ثُمَّ كَأَنَّهُ رَفَضَ مَنْ بَقِيَ.**

وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ في «الحِلْية» (ج٢ ص٧٨)، وفي «الإِمَامَة» (ص٢٤١)، والخَلاَّلُ في «السُّنَّةِ» (ص٤٣٦) مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَاصِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَجْلانَ به.

وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وأَخْرَجَهُ الكلاَبَاذِي في «مَعَانِي الأَخْبَارِ» (ص٣٧٢) مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَمْزَةَ عَنِ ابنِ عَجْلاَنَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ بهِ.

وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

قَالَ الكَلاَبَاذِيُّ ﵀ **في «مَعَانِي الأَخْبَار» (ص٣٧٢):** (وَرَدَ الْخَبَرُ بِقَوْلِهِ: مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: (أَنَا وَمَنْ مَعِي) فَوَجَبَ الْحُكْمُ بِهِ ... فَيَسْتَوِي آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَوَّلِهَا فِي الْخَيْرِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَرْنَ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِنَّمَا كَانُوا أَخْيَارًا؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، حِينَ كَفَرَ بِهِ النَّاسُ، وَصَدَّقُوهُ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ، وَنَصَرُوهُ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ، وَهَاجَرُوا وَآوَوْا وَنَصَرُوا، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وُجِدَتْ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ[1]...). اهـ

---

(١) أُمَّةَ الإِجَابَةِ في آخِرِ الزَّمان، وَهُمْ: أَهْلُ الأَثَرِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ في آخِرِ الزَّمانِ.

وسُئِلَ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلْ المِلَلُ والنِّحَلُ والطُّرُقُ المَوْجُودَة الآن هِيَ الَّتِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)، والقَوْلُ الآخَر: (سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةٌ كُلُّهَا في النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً)؟ أَفِيدُونَا بالصَّوَابِ جَزَاكُمُ اللهُ خَيْراً؟.

فَأَجَابَ فَضِيلَتهُ: (كُلُّ طَرِيقَةٍ، وكُلُّ نِحْلَةٍ يُحْدِثُهَا النَّاسُ تُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ، فَهِيَ دَاخِلَةٌ في قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) ودَاخِلَةٌ في الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةٌ كُلُّهَا في النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً؛ قِيلَ: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الجَمَاعَةُ»).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: (مَا أَنَا عَلَيْهِ وأَصْحَابِي)؛ فَكُلُّ طَرِيقَةٍ، أَوْ عَمَلٍ، أَوْ عِبَادَةٍ يَحْدُثُهَا النَّاسُ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ، ويَرَوْنَهَا عِبَادَةً، ويَبْتَغُونَ بِهَا الثَّوابَ، وَهِيَ تُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ؛ فَإِنَّهَا تكُونُ بدْعَةٍ، وتَكُونُ دَاخِلَةٌ في هَذَا الذَّمِّ والعَيْبِ الَّذِي بَيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فالوَاجِبُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ أَنْ يَزِنُوا أَقْوالَهُمْ وأَعْمَالَهُمْ وعِبَاداتَهُم بِمَا قَالهُ اللهُ ورَسُولهُ، ومَا شَرَعَهُ اللهُ، وَمَا ثَبَتَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، بِمَا وَافَقَ الشَّرْع وَمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ، وَمَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ ويُعْرِضُوهَا عَلَيْهَا؛ فَهَذَا هُوَ الحَقُّ المَقْبُول، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ، أَوْ خَالفَ السُّنَّةَ مِنْ عِبَاداتِهِمْ وطُرُقِهِمْ فَهُوَ المَرْدُودُ، وَهُوَ الدَّاخِلُ في قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))[1]. اهـ

---

(١) انظر: «فَتَاوَىٰ نُور عَلَىٰ الدَّربِ» لهُ (ص١٨ و١٩).

وآخِرُ دَعْوَنَا أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ.

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَثَرِيُّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

ذِكْرُ الدَّلِيلِ
عَلَى وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ الوَصْفُ الدَّقِيقُ للجَمَاعَاتِ الحِزْبِيَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ للحَذَرِ مِنْهَا، واجْتِنَابِهَا وعَدَمِ الدُّخُولِ فِيهَا

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ عَنِ الخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي؛ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟؛ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بغَيْرِ سُنَّتِي، ويَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ. قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ[1] إِلَىٰ أَبْوَابِ جهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ

---

(١) هم في هذا الزمان: «الإخْوانِيَّةُ»، و«التُّراثِيَّةُ»، و«السُّرورِيَّةُ»، و«القُطبِيَّةُ»، و«الصُّوفيَّةُ»، و«الأشْعرِيَّةُ»، و«اللادِّينيَّةُ»، و«الدَّاعِشيَّةُ»، و«التَبْليغيَّةُ»، و«الرَّبيعيَّةُ»، و«الإِباضِيَّةُ»، و«والطَّالحِيّة»، وغَيْرهُم من **دعاةِ الباطل** في هذا العَصْرِ، نعوذُ باللهِ مِن الخِذْلاَنِ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

لنَا؟، فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا. قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟، قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ؟؛ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ».

أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ في «صَحِيحِهِ» (ج٦ ص٦١٥)، ومُسْلِمٌ في «صَحِيحِهِ» (ج١٢ ص٢٣٥-النَّوَوِيّ)، وابنُ مَاجَه في «سُننِهِ» (ج٢ ص١٣١٧)، والحَاكِمُ في «الْمُسْتدْرَكِ» (ج٤ ص٤٣٢)، والبَغَوِيُّ في «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ج٥ ص١٤)، وأَبُو دَاودَ في «سُننِهِ» (ج٤ ص٤٤٤)، وأَحْمَدُ في «الْمُسْند» (ج٥ ص٤٠٣)، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ في «الْمُصَنَّف» (ج١١ ص٣٤٢)، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ في «الْمُصنَّف» (ج١٥ ص٩ و١٧)، والبَيْهَقِيُّ في «السُّنن الكُبرىٰ» (ج٨ ص١٩٠)، وفي «دَلائلِ النُّبُوَّةِ» (ج٦ ص٤٩٠)، وأَبُو نُعَيْمٍ في «الحِلْيَةِ» (ج١ ص٢٧٢)، وابنُ وَضَّاحٍ في «البِدَعِ» (ص٧٧) مِنْ طُرُقٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رضي الله عنه بِهِ.

وفي رِوَايةٍ لأَبِي دَاوُدَ في «سُننِهِ» (ج٤ ص٤٤٤): **«تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَىٰ دَخَنٍ، ثُمَّ تَكُونُ دُعَاةُ الضَّلاَلَةُ»**.

وأَخْرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ في «صَحِيحِهِ» (ج١٣ ص٢٩٩)؛ بإسْنَادٍ صَحِيحٍ؛ بلَفْظٍ: **«قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ عَلَيْهَا دُعَاةٌ**(١) **عَلَىٰ**

(١) كـ«أَهْلِ الرَّأْيِ والعَقْلِ».

أَبْوَابِ النَّارِ، فَإِنْ مُتَّ يَا حُذَيْفَةُ، وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَىٰ جِذْرِ خَشَبَةٍ يَابِسَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتْبَعَ أَحَدًا مِنْهُم».

وفي رِوَايةٍ لابنِ حِبَّانَ في «صَحِيحِهِ» (٥٩٦٣)؛ بإسنادٍ صحيحٍ: «**هُدْنَةٌ عَلَىٰ دَخَنٍ لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ عَلَىٰ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ...يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُكَرِرُهَا**».

قَالَ الحَافِظُ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **في «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ج١٥ ص١٥)**: (قَوْلُهُ ﷺ: «**وَفِيهِ دَخَنٌ**»؛ أَيْ: لَا يَكُونُ الْخَيْرُ مَحْضًا، بَلْ فِيهِ كَدَرٌ، وَظُلْمَةٌ، وَأَصْلُ الدَّخَنِ أَنْ يَكُونَ فِي لَوْنِ الدَّابَّةِ كُدُورَةٌ إِلَىٰ السَّوادِ). اهـ

وقَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ **في «فَتْحِ البَارِي» (ج١٣ ص٣٦)**: («**الدَّخَنُ**»: هُوَ الْحِقْدُ، وَقِيلَ: الدَّغَلُ وَقِيلَ: فَسَادُ الْقَلْبِ، وَمَعْنَىٰ الثَّلَاثَةِ مُتَقَارِبٌ. يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَ الشَّرِّ لَا يَكُونُ خَيْرًا خَالِصًا بَلْ فِيهِ كَدَرٌ). اهـ

وقَالَ الإمامُ أَبُو عُبَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ **في «غَرِيبِ الحَدِيثِ» (ج٢ ص٢٦٢)؛ في تَفْسِيرِهِ للحَدِيثِ**: (لَا تَرْجِعُ قُلُوبُ قَوْمٍ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، والهُدْنَةُ: السُّكُون بعدَ الهَيْجِ، وأصلُ الدّخنِ أَن يكونَ فِي لَوْنِ الدَّابَّةِ، أَوِ الثَّوْبِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ كدُورة إِلَىٰ سَوادٍ فوجهه أَنَّه يَقُولُ: تكونُ الْقُلُوبُ هَكَذَا لَا يَصْفُو بَعْضُهَا لبَعْضٍ، وَلَا يَنْصَعُ حُبُّهَا؛ كَمَا كَانَتْ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِم فِتْنَةٌ). اهـ

قلتُ: وهَذَا بيَانٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بأَنَّ الدُّعاةَ إلىٰ الفِتَنِ عنْدِ وُقُوعِهَا؛ إنَّما هُمْ الدُّعاةُ إلىٰ النَّارِ، نَعُوذُ باللهِ مِنْهَا.(١)

قلتُ: فالشَّرُّ الفِتْنةُ، ووَهَنُ عُرىٰ الإسلامِ في النَّاسِ، واسْتيلاءِ الضَّلالِ فيهم، وفُشوِّ البدعةِ بينهم.(٢)

قالَ العلاَّمةُ عليُّ القَارِي رَحِمَهُ اللهُ **في «مِرْقَاةِ الْمَفاتيحِ» (ج٩ ص٢٥٧)**: (قَولُه ﷺ: «**نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ**»؛ بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ: كُدُورَةٌ إِلَىٰ سَوَادٍ، وَالْمُرَادُ أَنْ لَا يَكُونَ خَيْرًا صَفْوًا بَحْتًا، بَلْ يكُونُ مَشُوبًا بِكُدُورَةٍ، وَظُلْمَة). اهـ

وقالَ الفَقِيهُ الطِّيِّبيُّ رَحِمَهُ اللهُ **في «الكَاشِفِ» (ج١٠ ص٥٢)**: (قولهُ ﷺ: «**نَعْم، وَفِيهِ دَخَنٌ**»؛ أَيْ: يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّر خيْرٌ، والحَالِ أنَّ في ذَلِكَ الخَيرِ شَرّاً، والْمَعْنَىٰ: أنَّ ذَلِكَ لاَ يَصْفُو بلْ يَشُوبهُ كُدُورةٌ، ومِنْهُ قَوْلُهم: هُدْنَةٌ علىٰ دَخَنٍ؛ أَيْ: سُكُونٌ لِعِلَّةٍ لا للصُّلحِ، وأَصْلُ: الدَّخَنُ أَنْ يكونَ في لَوْنِ الدَّابةِ كُدُورةٌ إلىٰ السَّوَادِ). اهـ

قلتُ: فتَعْرِفُ مِنْهُمْ، وتُنْكِرُ؛ أيْ: تَرَىٰ فِيهِمْ مَا تَعْرِفُهُ أَنَّه مِنَ الدِّينِ، ومِنَ الخَيْرِ، وهُو ليسَ مِنَ الدِّينِ، ولا مِنَ الخَيْرِ، لأَنَّهُم يَستنُّونَ بغَيْرِ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، فتعرِفُ فِيهِمْ الخَيْرَ فتقْبَل، وتَرَىٰ فِيهِمْ الشَّرَّ فتُنْكِرُ، فتَعرفُ وتُنْكِرُ، واللهُ الْمُسْتَعانُ.

---

(١) وانظر: «الإِحْسَانَ إلىٰ تَقْريبِ صَحيحِ ابنِ حِبَّانَ» لابنِ بَلْبَان (ج١٣ ص٢٩٢)، و«مَعَالم السُّنَن» للخَطَّابِيِّ (ج٤ ص٣٧٧)، و«الْمِنْهَاج» للنَّوَوِيِّ (ج١٢ ص٢٣٧).

(٢) وانظر: «الكاشفَ عَنْ حَقائقِ السُّنَن» للطِّيِّبي (ج١٠ ص٥١)، و«مِرْقَاة الْمَفَاتيح شَرْحِ مِشْكَاة الْمَصَابيحِ» للقَارِي (ج٩ ص٢٥٧).

قالَ الفَقِيهُ الطِّيِّبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**الكَاشِفِ**» (ج١٠ ص٥٣): (قَوْلهُ ﷺ: «**دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَاب جَهَنَّمَ**» أَيْ: جَمَاعةٌ يَدْعُونَ النَّاسَ إلىٰ الضَّلالَةِ، ويُصِدُّونَهُم عَنِ الهُدَىٰ؛ بأَنْواعٍ مِنَ التَّلبِيسِ لإدْخَالِهِم إيَّاهُمْ في جَهَنَّمَ، دُخُولهُمْ فِيهَا.

وجَعَلَ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنواعِ التَّلبيسِ بمَنْزِلةِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ. «**مِنْ جِلْدتِنَا**» أَيْ: مِن أَنْفسِنَا وعَشِيرتِنَا. قِيلَ: مَعْنَاهُ مِنْ أهلِ مِلَّتنَا. ويَتَكَلَّمُونَ بِمَا قَالَ اللهُ تَعالىٰ، وقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَيْ: بالْمَواعِظِ، والحِكَمِ، ومَا في قُلُوبِهِم شَيْءٌ مِنَ الخَيْرِ يَقُولُونَ بأَفواهِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِم!). اهـ

قالَ العَلاَّمةُ عليُّ القَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**مِرْقَاةِ الْمَفاتيحِ**» (ج٩ ص٢٥٩): (قَوْلُهُ ﷺ: «**وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي**»؛ أَيْ: مِنْ حَيْثُ الْعَمَلِ، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُمْ لَا يَأْخُذُونَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. و قَوْلُهُ ﷺ: «**وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ**»؛ أَيْ: كَقُلُوبِهِمْ فِي الظُّلْمَةِ، وَالْقَسَاوَةِ، وَالْوَسْوَسَةِ، وَالتَّلْبِيسِ، وَالْآرَاءِ الْكَاسِدَةِ، وَالْأَهْوَاءِ الْفَاسِدَةِ. «**فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ**» بِضَمِّ الْجِيمِ؛ أَيْ: فِي جَسَدِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ جِنْسُ الْإِنْسِ؛ فَيُطَابِقُ الْجَمْعَ السَّابِق). اهـ

وقالَ العلاَّمةُ عليُّ القَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**مِرْقَاةِ الْمَفاتيحِ**» (ج٩ ص٢٧٣): (وَأَصْلُ الدَّخَنِ هُوَ الْكُدُورَةُ، وَاللَّوْنُ الَّذِي يَضْرِبُ إِلَىٰ السَّوَادِ فَيَكُونُ فِيهِ إِشْعَارٌ إِلَىٰ أَنَّهُ صَلَاحٌ مَشُوبٌ بِالْفَسَادِ). اهـ

تَتَمَخَّضُ هَذِهِ الشُّرُوحَاتِ عَنْ أُمُورٍ:

١) أنَّ هذهِ مَرْحَلةٌ ليسَتْ خَيْراً خَالِصاً، وإنَّما مَشُوبةٌ بكَدَرٍ يُعَكِّرُ صَفْوَ الخَيْرِ، ويجعلَ مَذاقَهُ مِلْحاً أُجاجاً!.

٢) أنَّ هَذَا الكَدَرَ يُفْسِدُ القُلوبَ، ويَجْعَلها ضَعِيفةً؛ حيثُ يدبُّ إليها داءُ الأُمَم؛ وتَتخطَّفُها الشُّبهاتُ!.

٣) أنَّ الفِتْنةَ التَّي تَقَعُ عَمْياءُ صَمَّاءُ(١)؛ والمُرَادُ بكَونِهَا عَمْيَاءَ صَمَّاءَ أنْ تَكُونَ بحَيثُ لا يُرَىٰ مِنْهَا الْمُخْرج، ويقعُ النَّاسُ علَىٰ غُرَّةٍ مِنْ غَيْرِ بَصيرةٍ، فَيَعْمُونَ فِيهَا، ويَصُمُّونَ عَنْ تَأَمُّلِ الحَقِّ، واسْتِماعِ النُّصْحِ!.

٤) أنَّ اجْتماعَ النَّاسِ مِنَ الحزبيَّةِ علىٰ الفِتْنَةِ يَكُونُ بسَببِ فَسَادِ مَا فِي قُلوبِهِم، وَهِيَ مَشُوبةٌ بشيءٍ مِنَ البِدَع، وارْتِكَابِ الْمَنَاهِي، بَلْ يَفعَلونَ هُدْنةً فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ خِدَاعٍ، وخَيانةٍ، ونِفَاقٍ!: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر:١٤]. فَلَوْ كَانُوا يَعقِلُونَ لعَملُوا عَلَىٰ اجْتِثاثِ الخِلافِ مِنْ أُصُولِهِ، فَتوحَّدُوا عَلَىٰ الكِتابِ والسُّنَّةِ والآثَارِ، ولَمْ يَصرُّوا علىٰ الاخْتِلافِ، والتَّفرُّقِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

٥) أنَّ الهُدنةَ(٢) تَكُونُ عَلَىٰ دَخنٍ فِيها لِمَا بَيْنَ دُعاةِ الضَّلالَةِ مِنَ الفَسادِ الباطِنِ تَحْتَ الصَّلاَح الظَّاهرِ!، فَهِيَ فِتنةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ؛ عَلَيْهَا دُعاةٌ عَلَىٰ أَبْوابِ جَهَنَّمَ، والعياذُ باللهِ.

---

(١) قلتُ: والمُرَادُ مِنْهُ صَمَمُهُ عَنِ اسْتِماعِ الحَقِّ، وعَماهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ الدَّلائلِ، واللهُ الْمُسْتَعَانُ.

(٢) قلتُ: يُقالُ: هَدَنَ؛ سَكَنَ.

٦) أنَّ أَصْلَ الدَّخَنِ هُوَ: الكُدُورَةُ، واللَّوْنُ الَّذِي يَضْرِبُ إلىٰ السَّوَادِ، فيَكُونُ فيهِ إِشْعارٌ إلىٰ أنَّه صَلاحٌ مَنسُوبٌ بالفسادِ ذَلِكَ فِيمَا يَكُونُ بَيْنَ الجَمَاعَاتِ الحِزْبيَّةِ، والفِرَقِ الضَّالةِ(١)!، مِنَ «القَدِيمَةِ»، و«الجَدِيدَةِ».

٧) أنَّ ظُهُورَ دُعَاةُ الضَّلاَلِ يقترنُ بذلِكَ ظُهُورُ البِدَعُ، والْمَعاصِي فِيمَنْ يتبعُهُم، والمرادُ ظُهورُ جماعةٌ يَدْعُونَ النَّاسِ إلىٰ البِدَعِ، والْمَعاصِي، والضَّلالِ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلاَنِ!.

٨) أنَّ قُلُوبَ الْمُبْتَدِعَةِ فِي حِينِ الهُدْنةِ مَعَ بَعْضِهِم بَعْضاً؛ لا تَكُونُ صَافِيةٌ عَنِ الحِقْدِ، والبُغْضِ فِيمَا بَيْنَهُم، كَمَا كَانتْ صافِيةٌ قَبْلَ ظُهورِهِمْ البِدَعِ فيهِمْ، نَعَمَ يقعُ شَرٌّ هُوَ فِتنةٌ عظِيمَةٌ، وبَليةٌ جَسِيمةٌ، يُعْمَىٰ فِيهَا النَّاسُ عَنْ أن يَرَوْا الحَقَّ، ويُصمّ أهلُها عَنْ أن يَسْمَعُوا فِيهَا كَلَمةَ الحقِّ، والنَّصِيحَةِ!.

٩) أنَّ يكُونَ وَصْفُ الفِتْنةِ للنَّاسِ لِمَا فِيهَا مِنَ الظَّلاَمِ، وعَدمِ ظُهورِ الحَقِّ فِيهَا، وشدَّةِ أمرِهَا، وصَلاَبَةِ أَهْلِها فِي العَصَبيَّةِ للبَاطِلِ، وعَدَمِ الْتِفاتِ بَعْضِهم إلىٰ بَعْضٍ فِي الْمَشَاهدة والْمَكَانةِ!.

١٠) أنَّ الْمُبْتدِعَةَ عَلَىٰ ضَلاَلةٍ وهُمْ: السَببُ فِيهَا، بَلْ هُمْ كائِنُونَ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ مِنَ النَّارِ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يتَّفِقُوا عَلَىٰ الدُّخولِ فِيهَا!، والعِيَاذُ باللهِ.

---

(١) قلتُ: فعلَىٰ الْمُسْلمِ أَنْ يَعتزِلَ دُعَاةَ الضَّلاَلَةَ، ويصبرَ عَلَىٰ غُصَصِ الزَّمانِ، والتَّحَمَلَ لمشَاقِّهِ، وشَدائِدِهِ إلىٰ أن يَمُوتَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، والحَمْدُ للهِ تَعَالَىٰ.

١١) أنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ دَعْوَةَ الدُّعاةِ[1]، وإجَابةَ الْمَدْعُوينَ سَبباً لإِدْخَالِهم إِيَّاهُم في جَهَنَّمَ، ودُخُولُهم فِيهَا!، والعِيَاذُ باللهِ.[2]

وَكَانَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُسَمِّي «أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ» كُلَّهُمْ خَوَارِجَ وَيَقُولُ: «اخْتَلَفُوا فِي الِاسْمِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ السَّيْفِ».

أثرٌ صحيحٌ

أَخْرَجَهُ اللالَّكَائِيُّ في «الاعْتِقَادِ» (٢٩٠)، وأَبُو القَاسِمِ البَغَوِيُّ في «الجَعْدِيَّات» (١٢٣٦)، والفِرْيَابِيُّ في «القَدَرِ» (ص٢١٥)، والهَرَوِيُّ في «ذَمِّ الكَلَامِ» (٩٧٧) بإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفِصَلِ» (ج٤ ص٢٢٧): (وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ جَمِيعَ فِرَقِ الضَّلَالَةِ لَمْ يُجْرِ اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِم خيراً، وَلَا فَتَحَ بِهِمْ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ قَرْيَةً، وَلَا رَفَعَ لِلْإِسْلَامِ رايةً، **وَمَا زَالُوا يَسْعَوْنَ فِي قَلْبِ نِظَامِ الْمُسْلِمِينَ**، ويُفَرِّقُونَ كَلِمَةَ الْمُؤْمنِينَ، **ويَسُلُّونَ السَّيْفَ عَلَىٰ أَهْلِ الدِّينِ**، وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ). اهـ

---

(١) **قلتُ**: ويدخُل في الدُّعاةِ مَنْ قَامَ بالفِتْنةِ في طَلَبِ الحُكْمِ، والْمُلْكِ مِنَ: «الخَوارج»، و«الرَّوافِضِ»، و«الإبَاضِيَّةِ»، و«الإخوانية»، و«الصُّوفِيَّةِ»، و«الدَّاعشِيَّةِ»، و«الرَّبيعيَّةِ»، و«التُّراثِيَّةِ»، و«السُّرورِيَّة»، و«القطبية» وغَيْرِهم مِمَّنْ لم يُوجدْ فِيهم شُروطُ الإمارةِ، والإمَامَةِ، والوُلَايَةِ، وهذا ظاهرٌ في الثَّوراتِ التَّي قامتْ في «تُونِس»، و«اليَمَنِ»، و«لِيبْيَا»، و«سُوريا»، و«مِصْرَ»، وغَيْرِ ذَلِكَ.

وانظر: «مِرْقَاة الْمَفاتيح شَرْح مِشْكاة الْمَصَابيح» للقَارِي (ج٩ ص٢٥٨).

(٢) وانظر: «مِرْقَاة الْمَفاتيح شَرْحِ مِشْكاة الْمَصَابيح» للقَارِي (ج٩ ص٢٥٨ و٢٧٢)، و«الكَاشَف عنِ حقَائِق السُّنن» للطِّيِّبيِّ (ج١٠ ص٥١ و٦٠)، و«المِنْهَاج» للنَّوَوِيِّ (ج١٢ ص٢٣٧)، و«عَوْن الْمَعْبُود شَرْحِ سُنن أبي داود» للعَظِيمِ آبَادِي (ج١١ ص٣١٦).

قلتُ: ولا يزالُ هؤلاءِ سببُ رِيبةٍ وشكٍّ في الدِّين؛ لكثيرٍ مِنَ النَّاسِ، لأنَّهم يُظهرونَ شَيئًا، ويُبْطِنونَ شَيْئًا آخرَ، اللَّهمَّ سلِّم سلِّم.

قَالَ الشَّيْخُ العَلاَّمَةُ صالحُ بنُ فَوْزان الفَوْزان حَفِظَهُ اللهُ في «إِعَانَةِ المُسْتَفِيدِ» (ج١ ص٢٤٣): (التَّنبيهُ عَلَىٰ خِدَاعِ الْمُخادعِينَ، وأنْ يكُونَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ حَذَرٍ دَائِمًا مِنَ الْمُشْبوهِينَ ومِنْ تَضليلِهِم، وأَنَّهم **قَدْ يَتظاهَرونَ بالصَّلاَحِ، ويَتظاهَرونَ بالمشَاريعِ الخَيريَّةِ ـ كَبِناءِ المَسَاجِدِ!ـ** ولكنْ مَا دَامَتْ سَوابقهُم، وَمَا دَامَتْ تَصرُّفاتُهم تَشْهَدُ بكَذبِهِم؛ فإنَّهُ لا يُقبلُ منهُم، ولا نَنخدعُ بالْمَظَاهرِ دَونَ النَّظرِ إلىٰ الْمَقاصدِ، وإِلَىٰ ما يَترتبُ -ولَو عَلَىٰ الْمَدَىٰ البَعِيدِ- عَلَىٰ هذهِ الْمَظَاهرِ ... ففيه تنبيهُ الْمُسْلمينَ إِلَىٰ الحَذَرِ فِي كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ مِنْ تَضْليلِ الْمُشْبوهِينَ، **وأنَّ كُلَّ مَنْ تَظاهرَ بالخَيْرِ والصَّلاَحِ والمَشَاريع الخيريَّةِ** لا يَكُونُ صَالحًا ... فإنَّنا نأخذُ الحَذَرَ مِنْهُ ولاَ نَنْخَدِعُ).اهـ

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلامِ ابْنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتَاوَىٰ» (ج٢ ص١٣٢)؛ عَنِ المُبْتَدعَةِ: (وَيَجِبُ عُقُوبَةُ كُلِّ **مَنْ انْتَسَبَ إِلَيْهِمْ، أَوْ ذَبَّ عَنْهُمْ، أَوْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ**، أَوْ عَظَّمَ كُتُبَهُمْ، أَوْ عُرِفَ بِمُسَاعَدَتِهِمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ، **أَوْ كَرِهَ الْكَلَامَ فِيهِمْ، أَوْ أَخَذَ يَعْتَذِرُ لَهُمْ**، بِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَا يَدْرِي مَا هُوَ؟ أَوْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ صَنَّفَ هَذَا الْكِتَابَ؟... **وَأَمْثَالَ هَذِهِ الْمَعَاذِيرِ الَّتِي لَا يَقُولُهَا إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُنَافِقٌ**؛ بَلْ تَجِبُ عُقُوبَةُ كُلِّ مَنْ عَرَفَ حَالَهُمْ، وَلَمْ يُعَاوِنْ عَلَىٰ الْقِيَامِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْقِيَامَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ؛ **لِأَنَّهُمْ أَفْسَدُوا الْعُقُولَ وَالْأَدْيَانَ عَلَىٰ خَلْقٍ مِنْ الْمَشَايِخِ، وَالْعُلَمَاءِ، وَالْمُلُوكِ، وَالْأُمَرَاءِ، وَهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**). اهـ

وقَالَ العلَّامةُ الشَّيْخُ صالح الفَوْزان حَفِظَهُ اللهُ في «وُجُوبِ التَّثْبتِ في الأَخْبَارِ واحْتِرَامِ العُلَمَاءِ» (ص٥٠): (إنَّ وجُودَ الْمُثقفين، والخُطَباءِ الْمُتحَمسِينَ لا يُعَوِّضُ الأُمة عَنْ عُلمائِها... وَهَؤُلاءِ قُرَّاءٌ ولَيْسُوا فُقهاءَ فإطْلاَقُ لَفْظِ العُلَمَاءِ عَلَىٰ هَؤُلاءِ إِطْلاَقٌ في غَيْرِ مَحلِّهِ، والعِبْرةُ بالحَقَائقِ لا بالأَلْقَابِ فكَثِيرٌ مِمَّنْ يُجِيدُ الكَلامَ، ويَسْتَمِيلُ العِوامّ وَهُوَ غَيْرُ فقيهٍ، والَّذي يَكْشفُ هَؤُلاءِ أنَّه عِنْدَما تَحْصلُ نَازِلَةٌ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَعْرفةِ الحُكْمِ الشَّرعي فِيهَا فإنَّ الخُطَباءَ، والْمُتحمِسِينَ تَتَقَاصَرُ أَفْهَامُهُمْ، وعِنْدَ ذَلِكَ يَأْتِي دُورُ العُلَمَاءِ.

فَلْننتَبه لذَلِكَ، ونُعطي عُلمَاءَنَا حَقَّهُمْ، ونَعْرِفُ قَدْرَهُمْ، وفَضْلَهُم، ونَنزلُ كُلاً مَنزلتهُ اللَّائقةُ بِهِ). اهـ

وَعَنِ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ).

حديثٌ حسنٌ

أَخْرجَهُ ابنُ مَاجَه في «سُننهِ» (٤٣)، وأَحْمَدُ في «الْمُسْنَدِ» (ج٤ ص١٢٦)، والحَاكِمُ في «الْمُسْتَدْرَكِ» (ج١ ص٩٦)، وفي «الْمَدْخلِ إلىٰ الصَّحيحِ» (ج١ ص٥٥)، والآجُرِّيُّ في «الشَّرِيعَةِ» (ص٤٧)، والطَّبَرَانِيُّ في «الْمُعْجَمِ الكَبِيرِ» (ج١٨ ص٢٤٧)، وفي «مُسْنَدِ الشَّاميِّينَ» (٢٠١٧)، وابنُ أَبِي عَاصِمٍ في «السُّنَّةِ» (ج١ ص٢٧)، وابنُ عَبْدِ البَرِّ في «جامعِ بيانِ العِلْمِ» (ص٤٨٢)، والْمُخَلِّصُ في «سَبعةِ مَجَالس مِنْ أَمَالِيهِ» (ج٤ ص١٦٤)، والزَّنْجَانِيُّ في «الْمُنْتَقَىٰ مِنْ فَوَائِدِهِ» (ص٥٠).

وإسنادهُ حسنٌ.

قلتُ: فاللهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بالهُدَىٰ، ودينِ الحقِّ ليظهرهُ عَلَىٰ الدِّين كلِّهِ ولو كَرِهَ الظَّالمونَ، بَعثهُ بالحَنيفيَّةِ السَّمْحَة، ليُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إِلَىٰ النُّورِ؛ مِنْ ظُلْمَةِ الشِّركِ، والبِدْعَةِ، والْمَعْصيَّةِ إِلَىٰ نُورِ التَّوحيدِ، والسُّنَّةِ، والطَّاعةِ، دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ الْمَحجَّةِ البَيْضاء، وإِلَىٰ السُّنَّةِ الغَراءِ حَتَّىٰ تَركَهُم وَمَا مِنْ خَيْرٍ؛ إِلاَّ دلَّهُم عَليْهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ؛ إِلاَّ حذَّرَهُم منهُ.

ولِذَا تَلقاهَا أَهْلُ السُّنةِ والجَمَاعَةِ بالقَبُولِ والتَّسْلِيمِ، فآمنُوا باللهِ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِهَذَا الدِّين، فكَانَ هَذَا مِمَّا أَغَاظَ أعداءُ اللهِ في الخَارجِ والدَّاخلِ، فصَارُوا يُفكِّرُونَ في الطَّرِيقَةِ الَّتي يَطْعَنُونَ بِهَا فِي بُلدانِ الْمُسْلِمِينَ، الَّتي هِيَ فيها سببُ اجْتماعِهِم وعِزَّتِهم، فَرَأوا أنَّ الكَيْدَ للإسْلاَمِ عَلَىٰ الحِيلةِ أَنْجَع، فأظْهَرُوا حُبَّهُم للإِسْلاَمِ والْمُسْلِمِينَ في بُلدَانِهم، لا رَغْبة في حُبِّهم، بَلْ للكَيْدِ للمُسلِمِينَ والإسْلامِ باسْمِ الإِسْلامِ، وسَلَكُوا لِذَلِكَ طُرقًا شَتَّىٰ، ومِنْ ذَلِكَ طعنهُم في نُصُوصِ الأُصُولِ والفُرُوعِ، بل زَعَمُوا كَذِبًا وزُوراً أنَّ العملَ بِهَا في هَذَا العَصْرِ لا يَصْلحُ، فيعْملُونَ مِنْهَا مَا يَشاءُونَ، ويَتْركُونَ مَا يَشاءُونَ؛ لذَلِكَ لَجَئُوا إِلَىٰ تَحْريفِ النُّصُوصِ وتَأْويلِهَا عَنْ مَعْناهَا الحَقِيقيّ بحُجَّةِ: «الرُّؤيةِ العَصْرِيَّةِ»؛ فَسَرَتْ هَذِهِ الآفَّةُ في جَمِيعِ الفِرَقِ الضَّالة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].[1]

قلتُ: ولا يُضِلُّ إِلاَّ مَنِ ارْتَكَبَ سَبَبَ الضَّلالةِ فاللهُ يُضِلُّهُ[2]: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي

---

(١) وانظر: «الفِصَل في الْمِلَلِ والأهواءِ والنِّحل» لابنِ حَزْمٍ (ج٢ ص١٠٩).

(٢) وانظر: «شَرْحَ السُّنة» للشَّيْخ الفَوْزان (ص٤٤٦).

ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [النحل:٤٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

وقَالَ الإمَامُ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «السُّنَّةِ» (ص٣٨٢): (وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ الآثَارِ، أَوْ يَرُدُّ الآثَار، أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الآثَارِ؛ فاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، وَلاَ تَشُكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ مُبْتَدعٍ!). اهـ

وَقَالَ تَعَالَىٰ؛ عَنْ أَمْثَالِ الحِزْبِيَّةِ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩)﴾ [النور: ٤٨ و٤٩].

❁ ❁ ❁